

— ١١٤ —

وسني الرمال ، ومثل غناء الحمام ، ووقوع الغربان في الدار . وكلها ألوان إضافية تؤثر في الأعصاب ، وتثير الحزن العميق والاكتئاب الهادي في أعماق النفس .

٣ — أثر الذكرى :

إن للذكرى وعودة صور الأيام الماضية إلى الذهن أثراً كبيراً في إثارة الشعور الفني أمام الأطلال والآثار القديمة . وبمض الآثار الكبيرة كخرائب المدن القديمة ، والقصور التاريخية التي شهدت في جوانبها حياة قوية غنية تصنف أيضاً بهذه القوة المعجزة في إثارة هذا الشعور .

وليس بغير عنا أن يجلس أحدنا إلى نفسه ، ويسند رأسه التعب المهموم إلى راحة يده ، ثم يذهل عن وجوده الحاضر ، ويستغرق في تأملات بعيدة . فتمر أمام ناظره التامنين صور ماضية كثيرة ، مختلفة الألوان والأشكال . بينها مثلاً صورة شمس تنيب في الأفق النربي في موكب حافل بالألوان والألوان ، أو صورة واد سحيق فيه قيعان مظلمة ، وصخور نائمة ، وأشجار متناثرة . وبينها ذكرى حادثة عاطفية خلفت في النفس آثاراً عميقة . تمر هذه الصورة وأمثالها أمام ناظره ، فيلذ مرورها ، ويمجد في ذلك متعة مشوبة بآلم خفيف دفين يمتري فؤاده ، كأنه ألم طعنة أو وخزة في الجنب ، خفيفة الوقع ، خافية المصدر ، ويحس بينه تفرورقان بالدموع . وقد تكون هذه اللمزة وهذه المتمة قويتين تفوقان اللمزة والمتمة اللتين شعر بها في المرة الأولى ، عند شهود الصورة عياناً أو وقوع الحادثة فعلاً .

وفي الحقيقة إن الأفراح والأحزان التي تمتري نفوسنا في شتى أوقات حياتنا ، ولشتى الأسباب ، تبقى في المادة طافية على صفحة النفس الأولى ،